سلسلة فتيان لكن أبطال

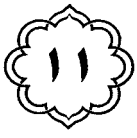

زيد بن حارثة

العبد الأمير

خليل الصمادي

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصمادي، خليل عمرو

زيد بن حارثة العبد الأمير.- الرياض

١٦ ص، ١٧X ٢٢ سم - (سلسلة فتيان لكن أبطال؛ ١١)

ردمك: X - ٧٦٥ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- زيد بن حارثة بن شراحبيل، ت ٨ هـ ٢- الصحابة والتابعون

أ- العنوان ب - السلسلة

ديوي ٩، ٢٣٩ ٢١/٣١٤٤

ردمك: X - ٧٦٥ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢١/٣١٤٤

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

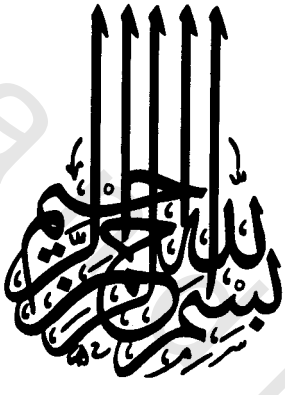

obeikandl.com

obeikandl.com

خرج حارثة (أبوزيد) مودعاً زوجته سُعْدى التي أرادت زيارة أهلها . . فبعد أن امتطت سعدى الناقة حمل حارثة ولده زيداً وقبله عدة قبلات ثم رده لأمه التي وضعته في حضنها، سارت الناقة ومشى حارثة قليلاً . . وما إن ابتعدت الراحلة قليلاً حتى وقف حارثة في مكانه وعيونه شاخصة تودع الركب الحبيب، ظل واقفًا حتى غابا عن بصره . . وعندما رجع حارثة إلى قومه ظل منظر الوداع يداعب خاطره ولا يفارق عينيه . .

وصلت سُعدى إلى قومها بني معن فما إن حط رحلها عندهم حتى أغارت عليهم خيل لبني القين فاستلبوا المال واستاقوا الأنعام وسبوا الأسرى، وكان من بين هؤلاء الأسرى الطفل الصغير زيد بن حارثة الذي لم تبلغ سنواته الثمانية بعد . .

هذه الغارات والغزوات كانت منتشرة بين العرب قبل الإسلام قبل أن يروَ النور المبين.

بكت الأم طفلها أشد البكاء، وتلوَّع فؤادها، وكم ندمت على هذه الزيارة المشؤومة . . وأخيراً عادت إلى زوجها وحيدة، وزادت لوعتها لما رأت حارثة قد جزع لهذا الخبر الصاعق . وصار يقول:

بَكَيْتُ عَلى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَافَعَلْ أَحَيٌّ يُرْجَى أَمْ أَتى دُونَهُ الأَجَلْ

فمضى من اليوم التالي يجوب القبائل والديار سائلاً عن حبيبه الصغير،

ولكن دون جدوى، وبقي على تلك الحال أشهراً عديدةً . .

وفي هذه الأثناء عُرِض زيد مع عدد من الغلمان في سوق عكاظ للبيع، فبيع هناك وتنقل من سيد إلى سيد، وكل واحد منهم يذيقه ألوانًا من العذاب والهوان، وأخيراً استقر به المقام في بيت خديجة بنت خويلد التي رأت فيه صفات خلقية حميدة . . أحسنت خديجة معاملة غلامها فشعر زيدٌ بالأمن والراحة، وتمنى لو أن هذه السيدة هي أول من اشتراه . .

كانت خديجة تقدر ظروفه وأحواله بعد أن اطلعت عليها، فلم ترهقه بعمل شاق، ولم تطلب منه عملاً فوق طاقته . . وتمضي الأيام، وتتزوج خديجة من محمد بن عبدالله الصادق الأمين . . وما أعظمها من صفاتٍ كانت خديجة تتوق إليها . .

أحبت خديجة محمداً ورأت أن تهديه هدية تليق بمقامه . . فلم تجد إلا زيداً . . ظن زيد في بادئ الأمر أن محمداً سيسيء معاملته كما كان الرجال يفعلون قبله، ولكنه عرف فيما بعد أنه يعمل عند خير الناس . . أحب زيد محمداً حبًا عظيمًا . . وتفانى في خدمته . . وبادله محمد بن عبدالله هذا الحب والعرفان . .

وفيما ينعم زيد بصحبة محمد وخدمته كانت أمه لا تهدأ لها لوعة، ولا يستقر لها حال . . ولكن سرعان ما تبدل حال سعدى إلى فرحة عظيمة . . كيف تبدل هذا الحال؟

وفي يوم من الأيام قدم قوم من قبيلة زيد مكة قاصدين البيت الحرام.. وفيما هم يطوفون إذ هم بزيد بن حارثة.. فانكبوا عليه معانقين وسائلين متلهفين .. فلما عادوا إلى ديارهم أخبروا والديه بما رأوه..

أعد حارثة راحلته مع أخيه كعب، وحمل معه من المال ما يفدي به ولده، وانطلقا مسرعين نحو مكة سائلين عن الأمين محمد، ولما لقياه قالا له: يا ابن عبدالمطلب، جئناك في طلب راجين ألا تردنا دونه، أنتم آل عبدالمطلب جيران الله تفكون الأسير، وتغيثون الملهوف .. لقد جئناك في ابننا زيد فامنن علينا به ولك من المال ما تشاء.. قال محمد: ومن ابنكما هذا؟ فقالا: خادمك زيد بن حارثة ..

كان محمد بن عبدالله يعلم محبة زيد له، ولكنه في الوقت نفسه يقدر حقَّ والديه فيه .. وعندها قال لهما: وهل لكما خير من الفداء؟ قالا: وما هو؟

قال: أُدْعُوَا زيداً واطلبا منه أن يختار .. فإن اختاركما فهو لكما بغير فداء[1] وإن اختارني فما أنا – والله – بالذي يرغب عمن يختاره.

هدأت نفس حارثة واطمأن وأحس كأنما ملك الدنيا .. لم يكن يتوقع من محمد هذه المعاملة الطيبة .. عندها قال له: والله لقد أنصفتنا وبالغت في هذا الإنصاف ..

---

(١) فداء: المال الذي يدفع من أجل الحرية.

بعث محمدٌ إلى زيد، فلمَّا أقبل انكب عليه والدُه ودموعه ذارفةٌ من عينيه .. ضمه إلى صدره وكأن روحه سرت في جسده من جديد .. ولما هدأت النفوس من حرارة اللقاء .. سأل محمدٌ زيداً: هل تعرف هذين الرجلين؟

قال: نعم، هذا أبي حارثة، وهذا عمي كعب.

فقال: لقد خيرتك، إن شئت انطلقت معهما، وإن شئت أقمت معي .. وهنا قال زيد: وهل أختار عليك أحداً؟. أنت الأب والعم.

فوجئ والد زيد .. بل صعق من كلام ابنه وصاح به: ويحك يا زيدُ .. هل أصابك مس .. أتختار العبودية على أبيك وعمك وأمك؟!!

قال زيدٌ: لم أر من هذا الرجل إلا ما يراه الولدُ من والده، وما أنا بالذي يفارقه أبداً..

دمعت عينا محمدٍ بن عبد الله من هذا الموقف الصادق، أمسك بيد زيد وخرج به إلى فناء الكعبة، ونادى بأعلى صوته على مسمع من قريش: اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه!!

عاد والد زيد إلى قومه حزينا كاسف البالِ، لكنه كان في قرارة نفسه مطمئناً على ولده، فهو عند رجل شهدت له قريش بالصدق والأمانة، ومنذ ذلك الحين تبنى محمد زيداً، وصار يعرف في مكة باسمه الجديد (زيد بن محمد).

يبقى زيد في خدمة محمد بن عبدالله، ويرى منه ما يراه الولدُ من والده، ويشب زيد في بيته الطاهر، وتكبر معه الخصال الحميدةُ.. وكل يوم يزداد إعجاب زيد بمحمد، ولم يكن زيد يعلم أن هذا الرجل الذي فضله على أبيه ليس سيده فحسب، بل هو سيد الناس، ورسول الله للعالمين .. ويوم نادى الوحي محمداً ﷺ، ثم تتابعت الرسالةُ في أيامها الأولى، وما إن عرض الرسول ﷺ الإسلام على زيد الفتى اليافع حتى كان ثاني المسلمين بعد أبي بكر وأول المسلمين من الموالي، ويقبل زيد على الإسلام خير إقبال، وتحمَّل ما تحمله المسلمون الأوائل من اضطهاد.. وتزداد محبة رسول الله له.. حتى قال له: «**يا زيد.. أنت مولاي، ومني وإليَّ، وأحبّ القوم إلي**».

صار زيدٌ أمين سر الرسول ﷺ .. ومن شدة حب النبي له صار العرب يطلقون عليه لقب «زيد الحب».

لازم زيد بن حارثة رسول الله ﷺ، وأحبه وأحب أهل بيته فكان صديقًا حميمًا لعلي بن أبي طالب أول من أسلم من الصبيان، وهما متقاربان في العمر.

ولما علمت قريش بدعوة الإسلام أخذت تحارب الرسول وأصحابه ومن حرص الغلامين الصغيرين على رسولهم الكريم أخذا يحرسانه ويرصدانه

خوفًا من قريش وأذاها، فلما كان الرسول يخرج إلى الكعبة أول النهار ويصلي صلاة الضحى يقعد زيد وعلي يراقبانه أشد المراقبة حتى لا يناله أدنى أذى.

ولما كبر قليلاً أحب رسول الله ﷺ أن يزوجه ولكن من يختار له؟ اختار له مولاته أم أيمن الحبشية وقد كان رسول الله ﷺ يعرف قدرها وأخلاقها فهي التي حضنته بعد وفاة أمه، وكان يقول عنها «**أمُّ أيمن أمي بعد أمي هي بقية أهل بيتي**» و«**من سرّه أن يتزوج أمرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن**» فتزوجها زيد وأنجب منها أسامة الذي صار بطلاً.

لم يكن أذى قريش شديداً على المسلمين قبل وفاة أبي طالب، ولكنه اشتدَّ بعد وفاته، وحتى وصل إلى رسول الله ﷺ، فصار المشركون ينثرون التراب على رأسه، حتى أن بعضهم طرح عليه رحم الشاة وهو يصلي!! وكان يقول لهم: «**أيّ جوار هذا يا بني عبد مناف!!**»

فلما اشتد عليه الأمر خرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة يلتمس النصر من ثقيف ويبذل الرسول مساعيه لهداية الناس هناك ولكن دون جدوى، بل قام سفهاؤهم بطردهما من ثقيف فألجؤوهما إلى بستان فرجعوا عنهما، وجلس الرسول مع زيد تحت ظل شجرة عنب وهناك أخذ يدعو الله أن يفرج عنه الكربة..

ويرجع زيد مع رسوله الكريم إلى مكة، ويأذن الله بالهجرة إلى يثرب، ويهاجر زيد كما هاجر المسلمون، ثم يهاجر الرسول الكريم مع أبي بكر الصديق.

وتبدأ الحياة في المدينة لا كما كانت في مكة، لقد أصبح للمسلمين قوة، وتم بناء أول مسجد وكان زيد من رواد هذا المسجد ملازمًا له في أوقات الصلاة وغيرها.

ويحفظ ما ينزل من القرآن على رسول الله ﷺ حتى فوجئ يوماً بأنه نزلت فيه آيات تحرم التبني .. عندها رجع اسمه زيد بن حارثة لا زيد بن محمد ...

لقد نزلت فيه الآية الكريمة: ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ** ﴾ [**الأحزاب**: ٥].

وليست هذه الآية الوحيدة التي نزلت فيه، بل نزلت آياتٌ كثيرةٌ، ونزلت آيةٌ باسمه الصريح، ولم ينل هذا الشرف أي من الصحابة رضوان الله عليهم..

لقد كثر أعداءُ المسلمين، وتكالبت قوى الشر والطغيان عليهم، ويجهز الرسول ﷺ البعوث والسرايا للدفاع عن الإسلام ولنشر رايته في الآفاق، ويختار – عليه أفضل الصلاة والسلام – الرجال الشجعان قُواداً لهذه السرايا، ينظر الرسول إلى من حوله ليؤمر الأبطال الميامين، فيجد رجالاً أشبالاً أسوداً منهم زيد بن حارثة، وتتتابع بطولات زيد في بدر وأحد والخندق

وغيرها من الغزوات، ولم تفته أية غزوة في حياته.

تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها):

ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره[1] عليهم، ولو بقي حيًّا بعد الرسول لاستخلفه.

ظل زيد يتنقل بين قيادة الجيوش حتى اختاره رسول الله ﷺ أميرًا على جيش مؤتة.

كان ذلك في السنة الثامنة للهجرة خرج الرسول ليودع الجيش قائلاً: «**أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا كبيراً فانيًا، ولا منعزلاً بصومعته، ولا تقربوا نخلاً، ولا تقطعوا شجراً، ولا تهدموا بيتاً**» ثم قال: **عليكم زيد بن حارثة .. فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب .. فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة**» انطلق زيد بن حارثة مع قافلة من المؤمنين المجاهدين الصابرين .. كان عددُهم ثلاثة آلاف أسد ليقابلوا جيشًا جراراً من الروم يتجاوز عددهم مائتي ألف مقاتل .. واشتبك الجيش الصغير مع الروم على حدود الأردن في مؤتة.

أقبل زيد كالأسد الهصور، ولم يبال ببوارق السيوف فوق رأسه ..

(١) أمره: جعله أميرهم.

حمل الراية وجعل يصول مقاتلاً ذات اليمين وذات الشمال يمتشق السيوف وأسنة الرماح .. وفي خضم هذه المعركة فاضت روح زيد إلى بارئها بعد أن ملأ قلوب الروم رهبة .. يومها عرف الروم أن المسلمين قوام الليل فرسانُ النهار.

ثم واصل الجيش ميسرة القتال تحت لواء جعفر بن أبي طالب، وقاتل جعفر قتالاً مذهلاً فقد أصر على رفع راية التوحيد برغم قطع ساعديه حتى استشهد رحمه الله، ثم واصل الجيش القتال تحت لواء عبدالله بن رواحة حتى استشهد ثم تحت لواء خالد بن الوليد الذي استطاع بذكائه أن يخلص الجيش من سطو الروم

وانجلت المعركة بأقل الخسائر .. ووصل الفرسان المدينة .. وما إن علم رسول الله ﷺ باستشهاد أحبته زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة والآخرين حتى حزن أشد الحزن..

انطلق – عليه الصلاة والسلام – إلى بيت زيد وبكى مع أولاده حتى ارتفع صوته .. وكان يقول: «**هذا بكاء الحبيب على حبيبه**».

خرج الرسول إلى مسجده ودعا الناس للصلاة على شهداء مؤتة، فصلى عليهم صلاة الغائب ودعا لزيد قائلاً: «**استغفروا لأخيكم.. قد دخل الجنة وهو يسعى**».

رحمك الله يا ابن حارثة لقد ضربت أروع الأمثلة في محبة رسول الله ﷺ وفي الذود عن الإسلام والمسلمين لقد سطرت دماؤك على أرض مؤتة دروسًا عظيمة في الجهاد والتضحية، ستظل منارًا يهتدى بها إلى يوم القيامة.

للاستزادة: من أخبار زيد بن حارثة انظر:
الإصابة: ٢٨٩٠
الاستيعاب: ١ / ٥٤٤
سير أعلام النبلاء: ١ / ٢٢٠
رجال حول الرسول: ٢٧٦
الرحيق المختوم ص ٨٧

obeikandl.com

(١) أحب عن الأسئلة التالية:

١- لم بكت سعدى ابنها زيداً؟

.....

٢- لم أخذ حارثة يجوب بين القبائل؟

.....

٣- أين استقر المقام بزيد؟

.....

٤- كم كان عمره عندما سبي؟

.....

(٢) اذكر أسماء الأمراء الثلاثة الذين استشهدوا في غزوة مؤتة.

١- .....

٢- .....

٣- .....

(٣) أتمم الأسطر بما يناسبها من كلمات:

أول من أسلم من الرجال .....

أول من أسلم من النساء .....

أول من أسلم من الصبان .....

أول من أسلم من الموالي .....

obeikandl.com

(٤) هات المؤنث لكل اسم مذكر لما يلي:

جمل .....

أبوه .....

صادق .....

الفتى .....

الصغير .....

(٥)

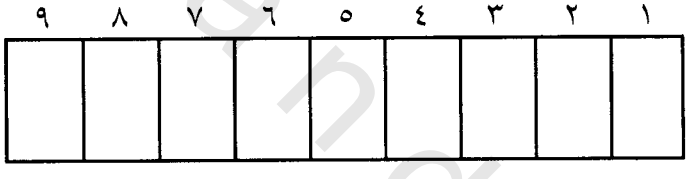

صحابي جليل استصغره رسول الله في غزوتي بدر وأحد

١ + ٢ + ٥ = ضد قبيح

٨ + ٩ + ٧ = في السماء

٢ + ٥ + ٢ + ٧ = يضيء

٥ + ٤ + ٢ = رسول

obeikandl.com